منهج المنصّرين في الاستدلال بالقرآن الكريم على ألوهية المسيح القمّص إبراهيم لوقا أنموذجا

محمد لمين إبراقن
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
قسنطينة

منذ ظهور الإسلام وانتشاره في الآفاق وظهوره على الأديان الأخرى، وخاصّة على الدّيانة المسيحيّة الّتي كانت آنذاك أكبر ديانة في العالم، حاول المسيحيّون الدّفاع عن عقائدهم ودعوة غيرهم إليها بشتّى الطّرق والأساليب، ومن تلك الطّرق الّتي اتّخذوها لتنصير المسلمين ودعوتهم إلى المسيحيّة هي: إثبات صحّة الدّيانة المسيحيّة من خلال الكتب المقدسّة عند المسلمين، لأنّ هذا أدعى وأسرع سبيل لقيام الحجّة عليهم، إذ هم لا يعترفون بالكتاب المقدّس كمصدر إلهي يأخذون منه العقائد والأحكام، فكانت الطّريقة الصّحيحة هي بالاستدلال عليهم بما يؤمنون به.

فوضعوا لذلك الغرض المؤلّفات والمقالات والمطويّات، وقاموا بنشرها بمختلف اللّغات، ومن تلك الكتابات الّتي حضيت بعناية كبيرة في العالم العربيّ والإسلاميّ هو كتاب القمّص إبراهيم لوقا باسم «المسيحيّة في الإسلام»، وقد ترجم إلى اللّغة الإنجليزية والألمانيّة، حاول في مؤلّفه إثبات صحّة العقائد المسيحيّة الرئيسيّة، بما فيها صحّة الكتاب المقدّس، وعقيدة الثّالوث، وألوهيّة المسيح، والكفّارة، والاستدلال عليها من المصادر الإسلاميّة نفسها، وبخاصّة القرآن الكريم.

وبما أنّ «المسيح هو جوهر الدّيانة المسيحيّة، ونقطة ارتكاز إيمانها، وكل تعليم يمسّ أيّ وجه من وجوه العقائد في شخصيّة المسيح الممجّدة

يمسّ الدّيانة المسيحيّة في صميمها»[1]، ارتأيت أن أقوم بدراسة منهج المؤلّف وطريقته الّتي سار عليها في كتابه لإثبات ألوهيّة المسيح من القرآن الكريم، حيث توصّل في الباب الرّابع المخصّص لبحث هذه القضيّة إلى أنّ «الإسلام يقدّس ذات المسيح تقديسا تامّا، ويصادق على جميع عقائد الدّيانة المسيحيّة عن شخصه المبارك، بما يُعدّ شهادة قويّة على صدق تعليمها عنه، ودليلا ناطقا يؤيّد ما تعلم به عن ألوهيّته...»[2].

فما صحّة دعواه هذه؟ وما هي منهجيّته المتّبعة في إثبات ذلك؟ وما صحّة استدلالاته؟

هذا ما ستبحثه هذه الورقة العلميّة: الكشف عن الأساليب الّتي استعملها والطّرق الّتي اتّبعها والمنهجيّة الّتي سار عليها لمحاولة إثبات أنّ المسيح هو الله من القرآن الكريم، ثمّ تقويمها وعرضها على قواعد المنهج النّقدي كي يتبيّن الصّحيح منها وغير الصّحيح.

بدأ المؤلف مقدمة الباب الرابع المخصص لدراسة المسيح كما ورد في القرآن قائلا: «المسيح إله حق وإنسان حق. هذه هي العقيدة المسيحية الصحيحة عن ذات المسيح، وهذا أيضا ما يعلّم به القرآن. فإن أول ما يلفت نظر مطالعه أنه ينسب للسيد المسيح ما هو خاص بذات الله... فهو يدعوه كلمة الله وروحه، وأنه يبرئ الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى، ويخلق من الطين كهيئة الطير فيكون طيرا»[3].

فهل حقا يعلم القرآن أن المسيح إله حق وينسب إليه ما هو خاص بذات الله؟

هذا ما سنقوم ببحثه في هذه الورقة، ولكن قبل ذلك، لا بد من التنبيه على الخطأ الذي وقع المؤلف فيه في مقدمة الباب، ألا وهو خطأ المصادرة على المطلوب، بمعنى طرح نتيجة الدراسة قبل عرض الأدلة

1. القمّص إبراهيم لوقا، المسيحيّة في الإسلام، ط5، دار الهداية: سويسرا، 1995م، ط5، ص109.
2. المرجع نفسه، ص109.
3. المرجع نفسه، ص109.

عليها، فقد قرر من المقدمة وحكم بأن القرآن يعلم مثل ما تعلم المسيحية في المسيح وأنه إله حق وإنسان حق، وكان الأولى به أن يؤخر النتيجة إلى الخاتمة وليس أن يضعها في المقدمة.

كرر نفس الخطأ حين ذكر أن «القرآن قال إن في المسيح شيئا إلهيا وشيئا بشريا. ولا شك أن كلا هذين الشيئين هما الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية»[1].

في نقس مقدمة الباب وقبل الدخول في البحث نجد المؤلف يدلس ويكذب على الإسلام بقوله: «تعتقد المسيحية أن المسيح (من حيث هو كلمة الله وروح منه) هو الله... والإسلام لا ينكر هذه العقيدة، ولا يرفض القول بلاهوت المسيح»[2].

أضاف المؤلف جملة (من حيث هو كلمة الله وروح منه) كما جاءت في النص القرآني ليوهم القارئ أن مفهومها الذي جاء به القرآن هو نفس مفهومها في المسيحية، وهذا غير صحيح، فالكلمة عندهم غير الكلمة عند المسلمين كما سنعرف لاحقا.

وهذا كذب أيضا، فالقرآن أنكر عقيدة ألوهية المسيح صراحة في قوله تعالى: (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح)[3].

بعد الانتهاء من المقدمة، قسم المؤلف بحثه إلى خمسة فصول وهي:

الفصل الأول: ألقاب المسيح في القرآن.

الفصل الثاني: الحقائق الخاصة بحياة المسيح.

الفصل الثالث: كمال المسيح الأخلاقي.

الفصل الرابع: قدرات المسيح الفائقة.

الفصل الخامس: نسبة الحقوق الإلهية للمسيح.

1. القمّص إبراهيم لوقا، المسيحيّة في الإسلام، المرجع الاسبق، ص110.
2. المرجع نفسه، ص110.
3. القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية 72.

وقد اتبعت نفس تقسيمه في عرض منهجه الاستدلالي على ألوهية المسيح من القرآن الكريم على خمسة مباحث:

المبحث الأول: الاستدلال بألقاب المسيح التي وردت في القرآن على ألوهيته

ذكر المؤلف في بداية هذا المبحث أن القرآن «لقب المسيح بألقاب لم ينعت بها أحدا غيره ممن ذكرهم في سوره وآياته، ولا يصح إطلاقها على بشري مخلوق مهما سما قدره، لما لها من الاتصال المباشر بذات الله القدوسة»[1].

هل حقا هذه الألقاب لم يلقب بها غير المسيح؟

وهل حقا لا يصح إطلاقها على بشر؟

ذكر المؤلف ثلاثة ألقاب رآها دالة على ألوهية المسيح وهي:

اللقب الأول: المسيح كلمة الله

قال المؤلف: «الإسلام تكلم في هذه الآيات[2] عن المسيح بما تتكلم به المسيحية»[3].

وهذا غير صحيح؛ لأن مقصود القرآن بلقب كلمة الله هو قول الله له كن فكان ولدا بإذنه[4].

ودليل ذلك الآيات التي جاءت بعد وصف المسيح بأنه كلمة الله، إذ وصفته بأنه مخلوق، قال تعالى في آل عمران: (إذ قالت الملائكة يا مريم

1. القمّص إبراهيم لوقا، المسيحيّة في الإسلام، ص111.
2. القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية 45-46، سورة النّساء، آية 171.
3. القمّص إبراهيم لوقا، المسيحيّة في الإسلام، ص111.
4. وهو قول ابن عباس من الصّحابة، وقول قتادة من التّابعين. انظر: الطّبري، محمّد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدّكتور عبد الله التّركي، دار هجر - القاهرة 2001م، ج5، ص406-409؛ ابن عطيّة، عبد الحقّ، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق وتعليق: الرّحالة الفاروق وعبد الله الأنصاري والسّيد عبد العال السّيد إبراهيم ومحمّد الشّافعي الصّادق العنّاني، ط2: وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة - قطر 2007م، ج2، ص221.

إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين (45) ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين (46) قالت ربِّ أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر **قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون** (47)).

وفي آية سورة النساء أيضا هناك دلالة واضحة على أن المسيح مخلوق وعبد من **عباد الله**، وتنكر على المسيحيين غلوهم في المسيح وجعله إلها من ثلاثة آلهة حيث يقول تعالى: (**يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم** ولا تقولوا على الله إلا الحق **إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله** وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله **ولا تقولوا ثلاثة** انتهوا خيرا لكم **إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد** له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا (171) **لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله** ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا (172)).

أما اختصاص المسيح بهذا اللقب لوحده دون غيره من المخلوقات رغم أنها أيضا مخلوقة بكلمة من الله؛ فلأنه ولد من غير أب مع وجود أم له، أما المخلوقات الأخرى فقد وجدت بأم وأب، أي لها نسب لوالديها، أما المسيح فنسبه من جهة أبيه منقطع، لذا اختص بهذا اللقب دون غيره. وآدم لم يختص بذلك لأنه هو أول المخلوقات، وأول المخلوقات من البدهي أن تكون بغير نسب.

أما مقصود المسيحيين في الإنجيل هو أن الكلمة هو اللوغوس الذي وصف بأنه كان عند الله وكان هو الله[1].

فالمؤلف أخذ الكلمات القرآنية التي وصفت المسيح بأنه كلمة الله وفهمها على غير مرادها، بل بفهم المسيحية، فكأنه فسر القرآن بالإنجيل، وهذه طريقة غير سليمة في الاستدلال.

1. انظر: الكتاب المقدّس، ترجمة: سميث وفان ديك، العهد الجديد، إنجيل يوحنّا 1/ 1. التّرجمة الصّحيحة لهذا النّص هو هكذا: «وكان الكلمة إله»، وليس الله. انظر: الأب متّى المسكين، شرح إنجيل القدّيس يوحنّا، مطبعة دير القدّيس أنبا مقار- القاهرة 1990م، ج1، ص35-36.

يكمل المؤلف بحثه فيقول: «لقد ذهب بعض المفسرين في تفسير هذه الآيات الثلاث مذاهب أخرجتها عن معناها الصريح، فحولوا الحقيقة إلى المجاز»[1].

أقول: صرف الكلام من حقيقة اللفظ إلى المجاز ليس عيبا ولا قدحا، بل قد يكون واجبا وهو الحق إن دعى الدليل إلى ذلك، كما هو الحال في هذه الآيات التي معنا، إلا أن المؤلف يصر على تفسير (كلمة الله) بما جاء في الإنجيل، ويقول إن الآيتين «تصرحان بأن الكلمة شيء له قيوميته في ذاته كما يقول الإنجيل الطاهر»[2].

فهو حملها من الحقيقة إلى المجاز بدليل الإنجيل، ونحن حملناها على المجاز بدليل القرآن واللغة، فأيهما أصح في الاستدلال؟ تفسير القرآن بالقرآن أم تفسير القرآن بالإنجيل؟.

ثم بنى على فهمه للكلمة وتفسيره إياها بأنها صفة الله الأزلية التي يقصد بها صفة الكلام فقال: «كل ما يتعلق بذات الله أزلي غير محدث، فلا بد من أن يكون كلمة الله أزليا، وهذا واضح من قول القرآن: ألقاها (والإلقاء عندنا هو التجسد) إلى مريم، أي أن هذا الكلمة كائن من قبل أن يُلقى إلى مريم. وإذا يكون المسيح أزليا»[3].

ففهم (كلمة الله) بأنها صفة الكلام الإلهية وهو ما لم يقله أحد من المسلمين، وفهم قوله تعالى: (الإلقاء) بالتجسد. وهذا خطأ كذلك مماثل لما سبق، وهو فهم الكلمات القرآنية على غير مرادها، بل على اصطلاح الإنجيل وعلى حسب عقيدة المؤلف وهواه.

بعد تفسير الكلمة بهواه انتقل المؤلف ينتقي الأقوال المرجوحة التي حجتها ضعيفة ويقوم بالرد عليها كي يظهر ضعف أقوال المفسرين وقوة حجته، ولكنه أخفى الأقوال الراجحة ذات الحجة القوية ولم ينقلها فضلا

1. القمّص إبراهيم لوقا، المسيحيّة في الإسلام، ص111.
2. المرجع السّابق، ص112.
3. المرجع السّابق، ص113.

عن أن يـرد عليها[1].

فلـم يتطـرق إلى كلام الـرازي المتبقي في تفسـيره لكلمة منـه حيث يقول الرازي:

«أمـا قولـه تعـالى: بكلمـة منـه فلفظة (مـن) ليسـت للتبعيـض هاهنا إذ لـو كان كذلك لـكان الله تعالى متجزئـا متبعضا متحملا للاجتـماع والافتراق وكل مـن كان كذلـك فهـو محدث وتعـالى الله عنه، بـل المراد مـن كلمة (من) هاهنـا ابتـداء الغايـة وذلـك لأن في حق عيسـى عليه السلام لما لم تكن واسـطة الأب موجـودة صـار تأثير كلمـة الله تعـالى في تكوينـه وتخليقه أكمـل وأظهر فكان كونـه كلمـة الله مبـدأ لظهـوره ولحدوثـه أكمل فـكان المعنـى لفظ مـا ذكرناه لا ما يتوهمـه النصـارى والحلولية»[2].

اللقب الثاني: المسيح روح الله

نفـس مـا قـام بـه المؤلـف في لقـب (كلمـة الله) يقـوم بـه الآن حـين الاسـتدلال بلقـب (روح الله) عـلى أن المسـيح هـو الله مـن القـرآن، حيـث حـذف القـول الراجح في معنـى (روح منه) من تفسـير الـرازي، وهو قوله: «الرابـع: أن الـروح هو النفـخ في كلام العرب، فإن الـروح والريح متقاربان، فالـروح عبـارة عن نفخـة جبريل وقوله منـه يعني أن ذلك النفـخ من جبريل كان بأمـر الله وإذنـه فهو منـه، وهذا كقوله فنفخنـا فيها من روحنـا [الأنبياء: 91]»[3]، وأخطـأ فوضـع الوجـه الخامـس مكان وجـه الرابع[4].

وممـا يلاحـظ في اقتباسـاته مـن كلام المفسرين هـو أنه لا يعـزُ الكلام إلى كتبهـم بذكـر الكتـاب والجـزء والصفحـة، وإنـما يطلق الـكلام مرسـلا كأنه

---

1. انظر: القمّص إبراهيم لوقا، المسيحية في الإسلام، ص113.
2. الرّازي، محمّد بن عمر، مفاتيح الغيب، ط3: دار إحياء التراث العربي - بيروت 1999م، ج8، ص222.
3. المرجع السّابق، ج11، ص271.
4. انظر: القمّص إبراهيم لوقا، المسيحية في الإسلام، ص116.

يفعل ذلك قصدا لخوف تتبعه وكشف تدليسه[1].

بعد نقل كلام المفسرين جاء المؤلف فحمل معنى (كلمة الله وروح منه) على أن المقصود بالكلمة هي صفة النطق الأزلية لله، وعلى أن الروح هي صفة الحياة التي لا بد لله أن يتصف بها، فهما من ذات الله[2]. وهو نفس الخطأ الاستدلال السابق = فهم القرآن بالإنجيل، وحمل مصطلاحته على المصطلحات والمفاهيم المسيحية.

وبعد أن شرح الكلمة والروح بما سبق قال: «وهذا هو المعنى المعقول المقبول الذي لا يمكن استنباط غيره من قول القرآن أن المسيح (روح منه)»[3].

وهذا من الكذب أو الجهل، فقد استنبط المفسرون سبعة أقوال من الآية كلها تحتملها اللغة[4]. فأين هذا من قوله أنه لا يمكن استنباط غيره من القرآن؟ أهو كذب أم جهل؟

وتفسير المسلمين الراجح لروح منه هو بمعنى نفخة من الله نفخها جبريل بأمر من الله[5]. وليس معناها أنه روح الله الحقيقية وحياته الذاتية، فروح الله عند المسلمين ليست صفة من صفات الله بل هي خلق من مخلوقاته.

ومن الكذب أيضا أو الجهل قوله: «ما من بشري آخر قد لقبه القرآن بهذا اللقب (أي روح الله) غير المسيح، فجميع الأنبياء بلا استثناء ليس بينهم من أولاه القرآن شرف هذا اللقب العظيم، ودعاه روحا من الله»[6].

1. مثل: ص116، اقتبس من تفسير الرازي والبيضاوي والجلالين من دون ذكر المصدر، وكذا في ص143 لم يسند إلى تفسير الرازي والجلالين والبيضاوي والزمخشري، وهكذا في معظم المواضع التي يقتبس منها.
2. انظر: القمّص إبراهيم لوقا، المسيحيّة في الإسلام، ص117.
3. المرجع السّابق، ص117-118.
4. انظر: ابن الجوزي، عبد الرّحمن بن علي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرّزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت 2001م، ج1، ص501.
5. انظر: الطّبري، جامع البيان عن تفسير آي القرآن، ج7، ص703.
6. القمّص إبراهيم لوقا، المسيحيّة في الإسلام، ص118.

إذ إن لقب (روح الله) لم يختص به المسيح، بل سمي به جبريل عليه السلام أيضا، وذلك في قوله تعالى: (فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا)[1] أي جبريل.

وتسمى به الملائكة كذلك كما في قول موسى: «قال له موسى: هل تغار أنت لي، يا ليت كل شعب الرب كانوا أنبياء، إذا جعل الرب روحه عليهم»[2].

اللقب الثالث: المسيح

انتقل المؤلف بعد لقب (روح الله) إلى لقب (المسيح) فقال عن تسمية الإسلام لعيسى عليه السلام بالمسيح: «لم يمنح هذا اللقب السامي نبي سواه، مما يدل على امتياز المسيح الخاص، واعتراف الإسلام له بهذا الامتياز... ومن يمتاز عن البشر كلهم بمن فيهم الأنبياء والرسل بأسرهم يجب أن يكون قد ارتفع عن طبقة البشر، بمقدار ما ورث اسما أفضل منهم. وليس هناك كائن لاسواه يسمو على جميع البشر وهو الله سبحانه وتعالى»[3].

وقال: «إن في إقرار الإسلام للمسيح بهذا اللقب وانفراده به لدليل على مقامه الممتاز عن البشر، وسائر الأنبياء والرسل، واعتراف منه له بلاهوته ذي الجلال والإكرام»[4].

ولنا أن نتساءل: ما علاقة أن يكون تميز الشخص باسم ما يجعله يكون فوق البشر؟ هل إن سميت شخصا ما بلفظ لم يتسم به أحد قبله يرفعه ذلك من البشرية إلى الإلهية؟؟ في أي تلازم منطقي يدخل هذا الاستدلال العجيب؟؟

فمثلا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد تميز باسم محمد دون غيره، فهل هذا يجعله أرفع من طبقة البشر؟

1. القرآن الكريم، سورة مريم، آية 17.
2. الكتاب المقدّس، العهد القديم، سفر العدد 11/ 29.
3. القمّص إبراهيم لوقا، المسيحيّة في الإسلام، ص126.
4. المرجع السّابق، ص126.

واسم المسيح لم يتميز به بل حتى الدجال سمي به.

وقد زاد محمد ﷺ على غيره من الأنبياء فتميز عنهم جميعا بما فيهم المسيح بست لم تؤت لغيره وهي كما ورد في قوله: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأرسلت إلى الخلق كافة»[1]. وهو كما قال عن نفسه: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر»[2]. ومع ذلك لم يرفعه أحد عن مقام البشرية إلى الألوهية كما فعل المسيحيون بعيسى عليه السلام لمجرد أنه تسمى بالمسيح.

وتفسير المسيح بالممسوح من الذنوب والمعصوم من الأخطاء كما نقله المؤلف عن الرازي واستدل به بالآيات والأحاديث الدالة على عدم وقوعه في الذنب وجعل ذلك دليلا على ألوهيته[3] فضعيف، هذا لا يجعله إلها لمجرد أنه ممسوح من قبل الله، فهي منحة إلهية اكتسبها من غيره لا من نفسه، وهي ليست ميزة خاصة به، فالله مسح الملائكة من الوقوع في الذنوب مطلقا أيضا، وكذلك يحيى عليه السلام. فلا ميزة للمسيح في ذلك.

وحتى إن قلنا أن المسيح هو الوحيد المعصوم، فهذا لا يجعله إلها، لأنه الذي أمده هذه العصمة هو الله ولم تأت من ذاته، فلا تلازم بين العصمة والألوهية أصلا.

---

1. مسلم بن الحجّاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، كتاب المساجد ومواضع الصّلاة، باب جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، رقم الحديث 523، ج1، ص371.

2. التّرمذي، محمّد بن عيسى، سنن التّرمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمّد شاكر ومحمّد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، ط2: مطبعة مصطفى البابي الحلبي– مصر 1975م، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة بني إسرائيل، رقم الحديث 3148، ج5، ص308. وقال: حديث حسن.

3. انظر: القمّص إبراهيم لوقا، المسيحيّة في الإسلام، ص127–128.

المبحث الثاني: الاستدلال بالحقائق الخاصة بحياة المسيح على ألوهيته

في المبحث الثاني أراد المؤلف أن يستدل ببعض الأمور التي تميزت بها حياة المسيح على غيره من البشر، والتي هي في نظره تجعله هو الله، فذكر منها ثلاثة وهي:

(1) أزلية المسيح:

استدل المؤلف على أزلية المسيح بتسمية القرآن له بكلمة الله وروح منه[1]، وقد بينا فيما سبق أن فهم المؤلف خارج عن المنهج العلمي والفهم العربي والإسلامي فلا داع لتكرار الرد عليه.

قال بعدها: «قول القرآن (ألقاها إلى مريم) دليل على أن هذا الكلمة كائن قبل أن يلقى إليها ويولد منها. ووجوده قبل أن يظهر في الجسد يحمل معنى أزليته، والأزلية صفة خاصة بالله تعالى»[2].

ولا أدري كيف استنتج من قوله تعالى (ألقاها إلى مريم) أنه كان موجود منذ الأزل؟ فلا يحتمل هذا التفسير لا اللغة ولا المنطق، ربما هو استدلال جديد يجوز حمل الآية على ما أراد قارئها أن تكون وليس ما أراده قائلها.

(2) الولادة العجيبة

انتقل ثانيا إلى الحديث عن ولادة المسيح العجيبة فادعى أن «ولادة المسيح بطريقة سرية عجيبة لم تتم لكائن بشري سواه»[3].

وهذا كذب، إذ ملكي صادق «بلا أب بلا أم بلا نسب، لا بداءة أيام له ولا نهاية حياة»[4]، ولا كان هو أول البشر كي يقال أنه لذلك السبب ولد من غير أب ولا أم كما فرق المؤلف بين آدم والمسيح بحجة أن آدم

1. انظر: المرجع السّابق، ص130.
2. المرجع السّابق، ص130.
3. القمّص إبراهيم لوقا، المسيحيّة في الإسلام، ص130.
4. الكتاب المقدّس، العهد الجديد، الرّسالة إلى العبرانيّين 7/ 3.

ولد من غير أب ولا أم لأنه هو أول البشر فلزم أن يولد كذلك[1].

ثم قال: «الطريقة التي تمت بها (ولادته) تثبت له شخصية خاصة خارجة عن دائرة البشر. وإقرار الإسلام بهذا الميلاد العجيب مصادقة منه على سمو شخصية المسيح وحقيقة لاهوته الممجد»[2].

ولا أعلم ما التلازم المنطقي الموجود بين الولادة العجيبة والألوهية، فالله هو الذي خلقه وأوجده بهذه الطريقة، ولم يفعلها المسيح نفسه، فأين دليل الألوهية فيها؟ أم هي مجرد مغالطة من مغالطاته المنطقية؟.

(3) الصعود إلى السماء

تكلم بعدها عن صعود المسيح إلى السماء فقال: «المسيحية قدمت صعود المسيح إلى السماء برهانا على حقيقة لاهوته الممجد كما يرى في أقوال الرسل العديدة. فإقرار الإسلام بهذه الحقيقة إقرار منه بصحة العقيدة المسيحية في لاهوت المسيح».

ولا أدري للمرة الثالثة كيف يبني المؤلف استدلالاته المنطقية وكيف ينطلق بمقدماته إلى نتائجه، فما علاقة رفع الله إنسانا ما إلى السماء بألوهية ذلك الشخص المرفوع؟ أين التلازم بينهما؟

وليعلم أن عيسى لم يختص لوحده بالرفع إلى السماء، فهذا أخنوخ قد رفعه الله إلى السماء كما قال الله عندهم: «وسار أخنوخ مع الله، ولم يوجد، لأن الله أخذه»[3]، ومع ذلك لم يقولوا بألوهيته.

المبحث الثالث: الاستدلال بكمال المسيح الأخلاقي على ألوهيته

خص القمص هذا الفصل للحديث عن كمال المسيح الأخلاقي وكيف أن هذا دليل من أدلة ألوهيته التي صرح بها القرآن.

---

1. انظر: القمّص إبراهيم لوقا، المسيحيّة في الإسلام، ص131.
2. المرجع السّابق، ص131.
3. الكتاب المقدّس، العهد القديم، سفر التّكوين 5/ 24.

بدأ كلامه بالقول أن «القرآن قد صرح بأن البشر أجمعين سقطوا تحت سلطان الخطية وكانوا من الآثمين، وهذا واضح من قوله: (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا)[1]».

أقول: الآية الكريمة لا تتحدث عن وقوع البشر أجمعين في الخطيئة، بل غاية ما تدل عليه أنهم جميعا واردون جهنم، ومعنى الورود ليس هو وقوع العذاب عليهم من أجل خطيئتهم كما قال، لأنه سيدخلها حتى الأنبياء المعصومين ومنهم المسيح عليه السلام، ومعنى الورود هنا هو ما فسره النبي ﷺ فقال: «الورود: الدخول، لا يبقى بَرّ ولا فاجر إِلا دخلها، فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على إِبراهيم، حتى إِن للنار -أو قال: لجهنم- ضجيجا من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا، ويذر الظالمين فيها جثيا»[2]. فإذن هم لا يدخلونها عقابا لهم ولسبب خطاياهم.

ثم استدل بعدم مساس الشيطان للمسيح على ألوهيته.

أقول: نعم القرآن ذكر أن المسيح لم يمسه الشيطان ولا أمه حين ولادته في قوله تعالى: (وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم)[3]، وهذه الآية لا تتكلم عن عصمته كما ادعى المؤلف ولا هي خاصة بالمسيح في عدم مساس الشيطان له كما قال[4]، بل أمه كذلك داخلة معه، وهذا ليس دليلا على العصمة، بل غاية ما تدل عليه الآية هو عدم مساس الشيطان له حين الولادة، وحتى إن قلنا أنها دليل على العصمة، فالعصمة ليست دليلا على الألوهية ولا تستلزمها كما سبق.

وقوله أن «في التوراة والإنجيل من الشهادات العديدة عن كمال المسيح وبراءته من كل ذنب أو تجريح»[5] غير صحيح، بل قد وقع في

1. القمّص إبراهيم لوقا، المسيحيّة في الإسلام، ص133.
2. أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، مؤسّسة الرّسالة- بيروت 2001م، مسند المكثرين من الصّحابة، مسند جابر بن عبد الله، رقم الحديث 14520، ج22، ص396-397.
3. القرآن الكريم، سورة آل عمران 36.
4. انظر: القمّص إبراهيم لوقا، المسيحيّة في الإسلام، ص134.
5. المرجع السّابق، ص136.

خطايا متعددة، منها الكذب، كما روى عنه يوحنا فذكر أن التلاميذ طلبوا منه الذهاب إلى أورشليم ليظهر معجزاته في عيد المظال، فقال لهم: «اصعدوا أنتم إلى هذا العيد، أنا لست أصعد بعد إلى هذا العيد، لأن وقتي لم يكمل بعد، قال لهم هذا، ومكث في الجليل، ولما كان إخوته قد صعدوا، صعد هو أيضاً إلى العيد، لا ظاهراً، بل كأنه في الخفاء»[1]، فأخبرهم بعدم الذهاب إلى العيد ثم خالف كلمته ووعده وذهب متخفيا حتى لا يكتشفوا كذبه.

ومنها سوء الأدب مع أمه، حيث طلبت منه تحويل الماء إلى خمر يشربه أهل العرس فقال لها: «مالي ولك يا امرأة، لم تأت ساعتي بعد»[2]، كما سب تلميذيه اللذين لم يعرفاه فقال لهما: «أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء»[3]، مخالفا تحذيره بجهنم لمن قال لأخيه أقل من ذلك: «ومن قال: يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم»[4].

المبحث الرابع: الاستدلال بقدرات المسيح الفائقة على ألوهيته

أراد المصنف في هذا المبحث عرض قدرات المسيح التي ذكرها له القرآن والتي تعتبر في رأيه دليلا صريحا على ألوهيته، ذكر من تلك القدرات ثلاثة:

(1) العلم بالغيب:

استدل المصنف بقوله تعالى عن المسيح أنه قال لتلاميذه (أنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم)[5]، وهذا دليل عنده أن المسيح كان يعلم الغيب[6].

1. الكتاب المقدّس، العهد الجديد، إنجيل يوحنّا 7/ 8-10.
2. الكتاب المقدّس، العهد الجديد، إنجيل يوحنّا 2/ 4.
3. الكتاب المقدّس، العهد الجديد، إنجيل لوقا 24/ 25.
4. الكتاب المقدّس، العهد الجديد، إنجيل متّى 5/ 22.
5. القرآن الكريم، سورة آل عمرن 49.
6. انظر: القمّص إبراهيم لوقا، المسيحيّة في الإسلام، ص137.

وهذا صحيح، إلا أنه لم يذكر لنا من كان يوحي له ذلك الغيب ويأتيه به، أكان المسيح عالما به من نفسه أم هي آية من آيات الله له كما جاء في بداية الآية ونهايتها؟ قال تعالى: (ورسولا إلى بني إسرائيل **أني قد جئتكم بآية من ربكم** أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله **وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم** إن كنتم مؤمنين)[1].

ثم أتى بالآيات الدالة على أن الله هو الوحيد الذي يعلم الغيب دون سائر الأنبياء والبشر وأنها صفة خاصة به سبحانه[2]، ثم قال: «إذا كان الإسلام أقر أن علم الغيب خاص بالله وحده، وأقر أن المسيح كانت له هذه القدرة. فمعنى هذا أن الإسلام يرفع المسيح عن مرتبة البشر، وفي هذا إقرار منه بلاهوت المسيح. وتلك هي النتيجة المنطقية لتصريحات الإسلام.»[3].

أقول: فهم المؤلف الآية على مراده دون نظر إلى سياقها ولحاقها.

وحتى لو كانت الآية دالة على أن المسيح يعلم الغيب، والآيات الأخرى تجعل الغيب صفة خاصة بالله وحده، هذا لا يعني أن المسيح هو الله، بدلالة الآيات الأخرى الكثيرة التي تنفي عنه الألوهية صراحة كقوله تعالى: (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح)، وكل آيات التوحيد التي تجعل الله واحدا فقط، فلو كان المسيح إله كذلك بدليل هذه الآية لكان عندنا إلهين اثنين وهما الله والمسيح، وهذا ما تنفيه آيات التوحيد.

وقد ثبت أن النبي محمد ﷺ قد تنبأ بأمور غيبية كثيرة، فهل هذا يعني أنه إله كذلك؟

وحتى علم المسيح بالغيب فغير صحيح وغير ثابت من الكتاب المقدس نفسه، إذ نجده يجهل موعد الساعة حيث يقول للتلاميذ: «وأما

1. القرآن الكريم، سورة آل عمران 49.
2. انظر: القمّص إبراهيم لوقا، المسيحيّة في الإسلام، ص137.
3. المرجع السّابق، ص137-138.

ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب»[1].

(2) قوة الخلق:

قام المصنف هنا بنفس الأغلوطة التي كررها مرات وهي فهم آية أن المسيح (خلق من الطين كهيئة الطير) على أنه من فعل المسيح نفسه دون إذن من الله. وكذا ذكر أن الخلق خاص بالله، فهذا دليل على أن المسيح هو الله[2].

وهذا مردود عليه بمثل ما سبق في استدلاله بأن المسيح يعلم الغيب بنفسه.

(3) قوة الإحياء من الموت:

وهنا أيضا جعل المؤلف هذه المعجزة -إحياء الموتى- نابعة من قدرة المسيح نفسه وليس كما جاء في الآية المباركة أنها بفعل الله وإذنه[3].

وهو ما جاء مصرحا به في الإنجيل كذلك: «كما أن الآب يقيم الأموات ويحيي، كذلك الابن أيضاً يحيي من يشاء ... لأنه كما أن الآب له حياة في ذاته، **كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته**»[4]، فالله هو الذي أعطى الابن هذه القدرة، وليست هي من الابن نفسه كما ذكر.

قال معلقا على نص الإنجيل السابق: «وكان المسيح في خطابه هذا (أي النص المقتبس أعلاه من الإنجيل) يقدم برهانا على لاهوته»[5]. ولا أدري كيف فهم هذا من النص إذ هو يخالفه صراحة، ولو أكمل النص لوجد جواب المسيح إذ يصرح فيه قائلا: «أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئا. كما أسمع أدين ودينونتي عادلة لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة

1. الكتاب المقدّس، العهد الجديد، إنجيل مرقس 13/ 32.
2. انظر: القمّص إبراهيم لوقا، المسيحيّة في الإسلام، ص138-139.
3. انظر: المرجع السّابق، ص140.
4. الكتاب المقدّس، العهد الجديد، إنجيل يوحنا 5/ 21، 27.
5. القمّص إبراهيم لوقا، المسيحيّة في الإسلام، ص141.

الآب الذي أرسلني.»[1].

وحتى إن كان على حقيقته، فإحياء الأموات ليس خاصا بالمسيح، فإن النبي إلياس أحيا ابن الأرملة[2]، واليسع أيضا أحيا أمواتا بعد وفاتهم[3].

المبحث الخامس: الاستدلال بنسبة الحقوق الإلهية للمسيح على ألوهيته

حاول المؤلف في مبحثه الأخير للاستدلال بالقرآن الكريم على ألوهية المسيح الكلام عن الحقوق الإلهية التي اختص بها دون غيره فذكر شيئين:

(1) الشفاعة:

بعد نقل المؤلف لكلام بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى: (وجيها في الدنيا والآخرة) أن معناها سيكون شفيعا يوم القيامة قال: «بينما نرى الإسلام قد أثبت للمسيح هذا الاختصاص نراه أولا قد أنكر هذا الحق على كل من عداه من البشر بما فيهم الأنبياء والرسل، وثانيا نراه في الوقت نفسه يصرح بأن الشفاعة حق من حقوق الله جل شأنه»[4].

فوقع بهذا في أخطاء، منها:

الأول: احتج بتفسير بعض العلماء، وهذا لا يصح، فتفسير العلماء لا يستدل به بل يستدل له ويستأنس به فقط، فلا حجة في الإسلام إلا في الكتاب والسنة وإجماع العلماء، وحينما نرجع إلى تفاسير الصحابة والتابعين وتابعي التابعين لهذه الآية لم نجد أي منهم أولها بمعنى الشفاعة، إذ كان غاية ما ذكروه في معناها أن الله جعله ذو مكانة عنده يوم القيامة[5].

---

1. الكتاب المقدّس، العهد الجديد، إنجيل يوحنا 5/ 30.
2. انظر: الكتاب المقدّس، العهد القديم، سفر الملوك الأول 17/ 19-24.
3. انظر: الكتاب المقدّس، العهد القديم، سفر الملوك الثاني 4/ 32-36؛ 13/ 21.
4. القمّص إبراهيم لوقا، المسيحيّة في الإسلام، ص143.
5. انظر: مركز الدّراسات والمعلومات القرآنيّة، المشرف العلمي: مساعد الطّيار، موسوعة التّفسير بالمأثور، دار ابن حزم- بيروت 2017م، ج5، ص201-202.

الثاني: الإسلام لم ينكر هذا الحق على غير المسيح، بل قد أثبت الشفاعة لمحمد ﷺ وغيره من الأنبياء والملائكة والمؤمنين، مثاله ما جاء في البخاري[1] عن ابن عمر رضي الله عنهما: «إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثا، كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود».

الثالث: حتى لو قلنا أن مقصود الآية هو إثبات الشفاعة للمسيح، فهذا لا يجعله إلها لأنه ما اكسبها إلا بإذن الله وليس من نفسه.

(2) المسيح مصدر الحياة:

استدل المؤلف على أن المسيح مصدر للحياة بقول بعض المفسرين في شرح قوله تعالى: (وروح منه) بمعنى أنه كان سببا لحياة الخلق في أديانهم[2].

ولا أدري ما علاقة هذا بألوهية المسيح؟؟ وما ميزة المسيح في ذلك عن غيره من الأنبياء الذين يرسلهم الله لغرض إحياء قلوب العباد لطاعته واتباع شرعه.

ثم يبني على هذا الاستنتاج الغريب فيقول: «فالإسلام يصدق على ما جاء في الإنجيل عن المسيح كواهب للحياة ومصدرها»[3]. وهذا لا يمكن التعليق عليه تعليقا علميا إلا بقولنا أنه كذب.

وهكذا نكون قد انتهينا من عرض كل الأدلة التي ساقها المؤلف من القرآن الكريم للاستدلال بها على ألوهية المسيح مع عرض منهجه في الاستدلال وتقويمها والرد عليها، ومن ثم يمكننا استخلاص منهجه الاستدلالي الذي سار عليه.

---

1. البخاري، محمّد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: محمّد زهير بن ناصر النّاصر، دار طوق النّجاة- بيروت 2001م، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا}، رقم الحديث 4718، ج6، ص86.
2. انظر: القمّص إبراهيم لوقا، المسيحيّة في الإسلام، ص146.
3. القمّص إبراهيم لوقا، المسيحيّة في الإسلام، ص147.

الخاتمة والنتائج:

ممكن أن نستنتج من كل ما سبق منهج القمص إبراهيم لوقا في الاستدلال بالقرآن الكريم على ألوهية المسيح فيمايلي:

أولا: استعمال التدليس والكذب على الإسلام، مثل قوله إن الكلمة التي سمي بها المسيح في القرآن بمعنى صفة الكلام الأزلية.

ثانيا: اعتماد الجهل، مثل عدم معرفته أن التسمي بروح الله لم يختص به المسيح وحده بل قد أطلق على جبريل كما جاء في القرآن وعلى الملائكة كما جاء في العهد القديم وغيرها من الأمثلة التي ذكرناها في ثنايا البحث.

ثالثا: فهم وتفسير الآيات القرآنية والمصطلحات الإسلامية على غير مرادها، بل بفهم المسيحية، أو يمكن أن نسمي طريقته للتفسير هذه بتفسير القرآن بالإنجيل، وهذا المنهج هو أكثر وسيلة اتبعها المؤلف في استدلالاته بالقرآن الكريم، فنجده يحمل معنى (كلمة الله وروح منه) بأنها الكلمة الأزلية والحياة الإلهية كما جاءت في الإنجيل.

رابعا: منهج البتر لكلام المفسرين والتصرف فيه، مع الأخذ من تفاسيرهم أضعف الأقوال التي بمكن أن يرد عليها، كما فعل مع قول الرازي حيث أخفى الوجه الرابع لمعنى الآية وقفز مباشرة إلى الوجه الخامس.

خامسا: استعمال المغالطات المنطقية، كجعل ما ليس بلازم لازما، مثل جعله من تميز باسم ما فهو يرتفع عن طبقة البشر إلى طبقة الألوهية وغيرها من الأمثلة المبثوثة في الورقة.

سادسا: التفسير بغير دليل، مثل تفسير قوله تعالى (ألقاها إلى مريم) أنه كان موجود منذ الأزل.

سابعا: الاستدلال ببعض الكتاب دون بعضه الآخر، مثل ما فعل حينما أراد أن يثبت أن المسيح يعلم الغيب من عند نفسه، تجاهل تكملة

الآية التي توضح أن علمه بالغيب كان آية من آيات الله له.

ثامنا: الاستدلال بما ليس بدليل، كاستدلاله بكلام المفسرين واجتهاداتهم.

المصادر والمراجع

الكتب المقدّسة:

* **القرآن الكريم**، رواية حفص عن عاصم.
* **الكتاب المقدّس**، ترجمة: سميث وفان ديك.

المصدر:

* إبراهيم لوقا، **المسيحيّة في الإسلام**، ط5: دار الهداية- سويسرا، 1995م.

المراجع:

* ابن الجوزي، عبد الرّحمن بن علي، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرّزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت 2001م.
* ابن عطيّة، عبد الحقّ، **المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق وتعليق: الرحالة الفاروق وعبد الله الأنصاري والسّيد عبد العال السّيد إبراهيم ومحمّد الشّافعي الصّادق العنّاني، ط2: وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة- قطر 2007م.
* أحمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، مؤسّسة الرّسالة - بيروت 2001م.
* البخاري، محمّد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق: محمّد زهير بن ناصر النّاصر، دار طوق النّجاة - بيروت 2001م.
* التّرمذي، محمّد بن عيسى، **سنن التّرمذي**، تحقيق وتعليق: أحمد محمّد شاكر ومحمّد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، ط2: مطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر 1975م.

* الطّبري، محمّد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: الدّكتور عبد الله التّركي، دار هجر- القاهرة 2001م.

* الرّازي، محمّد بن عمر، **مفاتيح الغيب**، ط3: دار إحياء التراث العربي - بيروت 1999م.

* متّى المسكين، **شرح إنجيل القدّيس يوحنّا**، مطبعة دير القدّيس أنبا مقار- القاهرة 1990م.

* مركز الدّراسات والمعلومات القرآنيّة، المشرف العلمي: مساعد الطّيار، **موسوعة التّفسير بالمأثور**، دار ابن حزم - بيروت 2017م.

* مسلم بن الحجّاج، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.